

موسوليني ومسر اسكوت

مسر اسكوت زوجة الوزير اسكوت من أبلغ زيات القلم الانكليزيات واوسعين اطلاعا وامهرهن في فنون السياسة . وقد كانت منذ حداثتها تقابل الملوك وتكاتب الوزراء وتباحث الفلاسفة . زارت ايطاليا بالامس ولقيت السنيور موسوليني كبير وزرائها وحادثته ونشرت وصفها له وخلاصة حديثها معه في مجلة لندن قرأينا ان تلخص ذلك فيما يلي ثاقبه من الفائدة

قالت بعد ان وصفت قصرآ من قصور رومية اتي لست مفرمة بمشاهدة الاثار ولا بلقاء الرجال ولكن ما اشتهر عن فوز موسوليني ووضاعة اطله وسرعة شهرته حملني على الرغبة في مقابلته . وكنت اعلم ان صغيرنا في رومية هو الشخص الذي ينتطح ان يدبر امر هذه المقابلة لانه يجتمع به كل يوم تقريبا لكنني لم اشأ ان اكلفه بذلك وكنت اعلم ايضا اني ان تمكنت من مقابلة موسوليني فوقت المقابلة يكون قصيرا لا يكفي لان اعرف من اموره كل ما اود معرفته . فسألت كل الذين لفيهم عما يملونه من امره . وغني عن البيان اني سمعت منهم اقوالا متناقضة . وما سمعته عنه ان نقتة بنفسه لم ينتج اكثر مما من اعجاب به بوليون والاقضاء به كما يقال بل من قرأته رسائله مكياثلي وخطبه . وهذا شيء جديد لم اكن اعلمه ولا رأيت في اعماله ما يؤيده من حين دخل رومية برجاله الى حين امر بدخول جزيرة كورفو دخولا لا مسوغ له . ومها يكن من ذلك فهل لا يزال في عصر نعتقد فيه او نجعل غيرنا يستعد « ان الناس لا يعملون قصد النفع العام الا مضطرين » كما قال مكياثلي او « انهم يأسفون اذا شزع منهم شيء من قوتهم اكثر مما يأسفون اذا فقدوا اخا او ابا لان الميت ينسى احيانا ولكن ما عليك الا ان لا يفسد اذا فقد » او « ان الصداقة تتووع من الانتفاع فاذا عارضت النفع لم تثبت واما الخوف فاثبت منها لان العقاب متصل به وتأثيره ثابت »

اذا صح نصف ما يستنتج من آراء مكياثلي انحط الناس الى درجة العجارات بل صاروا خشيبا مسندة يستطيع كل معنوه ان يتسلط عليهم . وهذه الآراء لا تخامر الا نفس شاب غرير او رجل فطر على احتقار ابناء نوعه . اما انا فارى الامارات التي في وجه موسوليني على ما في صورته الفوتوغرافية تومي الى ذكاء وعقل

وطيب سريرة حتى ليعتذر عليّ ان اصدق انه يسير سيرة الطغاة في رأي يديده
او عمل يأتيه

اعتقدُ بنفسه قد يستطيع ان يتسلط على الناس ولكنه لا يستطيع ان يتولى قيادتهم
ولا بدّ من ان يكرهوه ما لم يحضروا اعتدادهُ بنفسه او يُقلع عنه

قال مكبايلي في كتابه « البرانس » « ان الانبياء المسلحين يقوزون واما غير
المسلحين فيهلكون لان طبائع الناس سريرة الانقلاب فيسهل اقتناعهم ولكن يصعب
ابقاءهم مقتنعين ولذلك يجب الاحتياط حتى اذا بدت منهم بوادر الشك يلجأ الى
اقتناعهم بالقوة »

وعندي ان هذا القول يصدق على الناس اذا صاروا جمادات . والحاكم الذي
يقول لشعبه « انكم انما تالون الحرية متى صرتم تستحقونها » قد يفلح في ايطاليا
ولكنه لا يبق في اكثر البلدان اسبوعاً واحداً متحمساً بسلطته . ونحن الانكليز
نعتمد ان الحرية ارث طبيعي وعقوانا وعاداتنا وشرائنا نحمّلنا على الاحتفاظ بهذا
الارث . اما ما يُرسم به موسوليني من هذا القبيل فقد رُسم به كثير من العظماء
ظلماً فلا ابدى حكماً فيه قبلما اراه

والانتقاد الكبير الذي سمعته على موسوليني انه لا يرى الا قليلين من الذين
يقوقونه وان حاشيته ليست من الخواص . قال لي احد الذين كلوني في هذا الموضوع
ان الامثال قلما تخطيء . فقد قالت انت « الطيور على امثالها تقع » (وفي الاصل
Birds of feather flock together) فقلت له ان بعض الائمة يصدق غالباً
ولكن بعضها لا يصدق ابداً كقولهم « ودخان من غير نار محال »

واستنتجت بعد بحث طويل ان موسوليني ابن حداد ولد في قرية دوريا
من اعمال فورلي سنة ١٨٨٣ ودرس في كلية نورلجوبولي وذهب الى سويسرا سنة
١٩٠٢ وكان يعمل في بناء القريد ويكتب في الجرائد وكان شديد الميل الى
الاشتراكية وصار محرراً لجريدة حزبه المسماة اثقي ولما نشبت الحرب سنة ١٩١٢
وطلب اشترأكيو ايطاليا ان تلتزم بلادهم الحياد التام لم يجارهم جريدته ولا خالفهم
ولكنه ترك تحريرها في اكتوبر تلك السنة وجاهر بأنه يجب على كل احد ان ينضم
الى الحلفاء لانهم يسمون لفرض سام فلا يلبق ببلاد عظيمة ان تبقى على الحياد . فأخرج
من الحزب الاشتراكي الذي هو منه وانشأ جريدته المشهورة Popolo d'Italia

ولم يكتب بالكتابة فيها بل كان ينادي بأنه يجب على كل ايطالي جندياً او غير جندي ان يحارب البروسين . وانتظم في سلك الجيش سنة ١٩١٥ كجندي وجرح في بطيه جرحاً خطيراً

كانت ايطاليا مضطربة منذ مدة طويلة فلما انتهت الحرب اصابها قسط كبير من القلق الذي اصاب سائر البلدان . وكثيراً ما خطب الخطباء ومنسوا الناس بسلم دائم واعميق مقيم بعد الحرب وويلاتها فوقف الذين اشتركوا فيها منتظرين تحقيق الاماني فاذا هي سراب بئيمة

وكانت الحكومة الايطالية ضعيفة متقلبة والضعف في الاعالي يفري بالمدوان في الاسافل تخيف من ان تفنق البلاد اثر ما يطلق عليه اسم البلشفية

البلشفية كلمة روسية يتخذها الكتتاب الآن للتعبير عن كل ثورة يقصد بها قتل الحكام والخروج على كل قانون ونظام حاسبين ان الروس الذين اطلق عليهم هذا الاسم قتلوا قيصرهم ثم الحكام الذين خلفوه ونهبوا المكتبات ونقضوا كل نظام وهم يحاولون بمحاثهم اطلاق الحرية . ويسهل على الناعقين بالحراب ان يتخذوا ذلك دليلاً على صحة ما ينعمون به ولكن انخطر على بالهم ما كان في روسيا قبل ثورتها

قال لي الملك ادورد منذ سنوات كثيرة انه حث ابن اخته (قيصر روسيا) على بث روح الحرية في مشربه لان منع حرية الكلام والنهادي في نفي الشبان الى سيبيريا لانهم يبدون آراء معتدلة وما بدا في حرب اليابان من انتشار داء الرشوة والاختلاس في روسيا كل ذلك سيؤدي الى ما يسيئه وينقص عيش شعبه . ولما عين لتكندراف سفيراً لروسيا في لندن قالت لي امه وهي من فضليات النساء « ان الثورة صارت في روسيا على قاب قوسين او ادنى ولا بد منها ما لم يقلب حكم القيصر من اعلاه الى اسفله » ولكن كانت الايام تمر ولا احد من المسؤولين يفوه بكلمة

ولا شبهة ان ايطاليا كانت مهددة بثورة مثل ثورة روسيا لانها لم تكن تتق بحكامها ففرغ صبر بعض رجالها فالتفوا حزباً سموه حزب الفاشستي وهو حزب يحافظ في مذهبه وكان من حكمة ملك ايطاليا ان ايد هذا الحزب وسار موسوليني في طبيعته وكان قد تعلم اموراً كثيرة في سويسرا وفي الحرب وثبت له ان حزب الفاشستي سار في الطريق السوي لانقاذ ايطاليا من الحراب الذي يهددها . وفي الخامس والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٢٢ خاطب جماعة كبيرة في نابلي قبل سيرهم على رومية قائلاً

« ان ايطاليا كلها تنظر اليكم واقول لكم من غير ان اظاهر بالتواضع الكاذب الذي هو قناع سخيفي العتول أنه لم يحدث بعد الحرب حادث اهم واقوى من قيام حزب الفاشستي الايطالي»

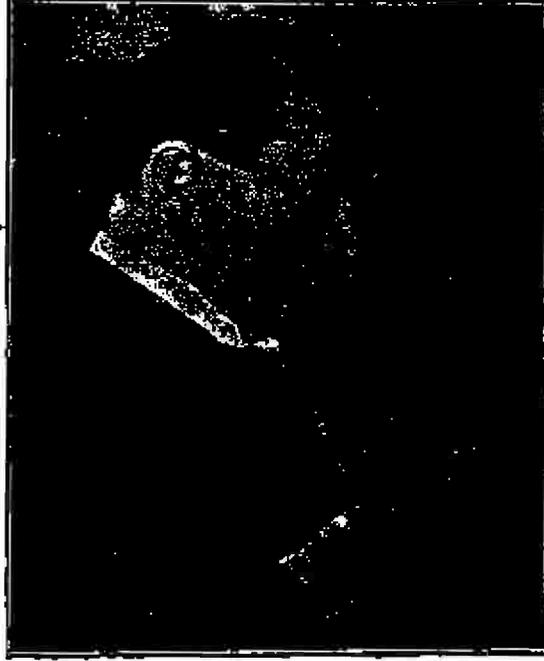
وانكر ان يكون انقول الفصل ما تقوله الا كثرية لان الكثرة ضد العقل . وهو منشبت بالفاشستي كانه مذهب ديني . وعنده أنه يجب على ايطاليا ان تعود الى ماضيها المجيد وأنه هو الرجل الذي يستطيع ان يميدها اليه . وقد تمكن بما اوتي من الحزم من استمالة الملك والقواد والمديرين ورجال السياسة ولم يكتف بذلك بل استمال الفاتيكان ايضاً فاحسن صنماً لانت البابا هو المرجح الديني الاعلى عند الشعوب الكاثوليكية كاهالي ايطاليا . ومما بانني عنه أنه اقتنى شبلاً صغيراً وكان يركبه معه في سيارتهم اضطر لسبب عائلي ان يضعه في بيتان الحيوانات ولكنه كان يزوره ويدخل قفصه ويلاعبه

وخطة موسوليني في السياسة خطة احتكار فقد احتكر السلطة الادارية والحربية والدينية

فلما سمعت عنه كل ما ذكرته آنفاً قلت في نفسي ان من الحق ان اغادر رومية قبل ان القاه . ورأيتني ذات يوم جالسة على مائدة والى جانبي رجل من اصدقاء موسوليني ومن رجال حكومته فتحدثنا في بعض الشؤون السياسية واستطرد الحديث الى موسوليني وسياسته فقلت لحدثني انني شديدة الرغبة في لقاء الرجل الذي له في نفسه هذا المقام العظيم . فقال لي أنه لا يرى احداً ولما يحضر اجتماعاً الا مضطراً وهو غير مبال الى محادثة احد ولا وقتاً يسمح له بذلك فان حمله ثقيل وهو لا يستعين باحد على حمله معه وجباته في خطر دائم من اغتيال التوار له لكنه لا يهاب بالخطر لأنه لا يعرف الخوف ولذلك فأتطليته ضرب من المحال

فلما قال ذلك كدت اياس منه والتفت الى الرجل الذي على الجانب الآخر مني لكي احديثه لكنني عدت واستتمضت همتي وقلت للاول باسمه « لا اظنك تقنعني بدالتك على السنيور موسوليني اذا كنت لا تستطيع ان تجمعي به »

وبعد يومين (٢٥ مارس) جاءني سفيرنا وقال لي ان سكرتير موسوليني كلف بالتلفون قائلاً أنه مستعد لقايتي الساعة السادسة والنصف ذلك اليوم



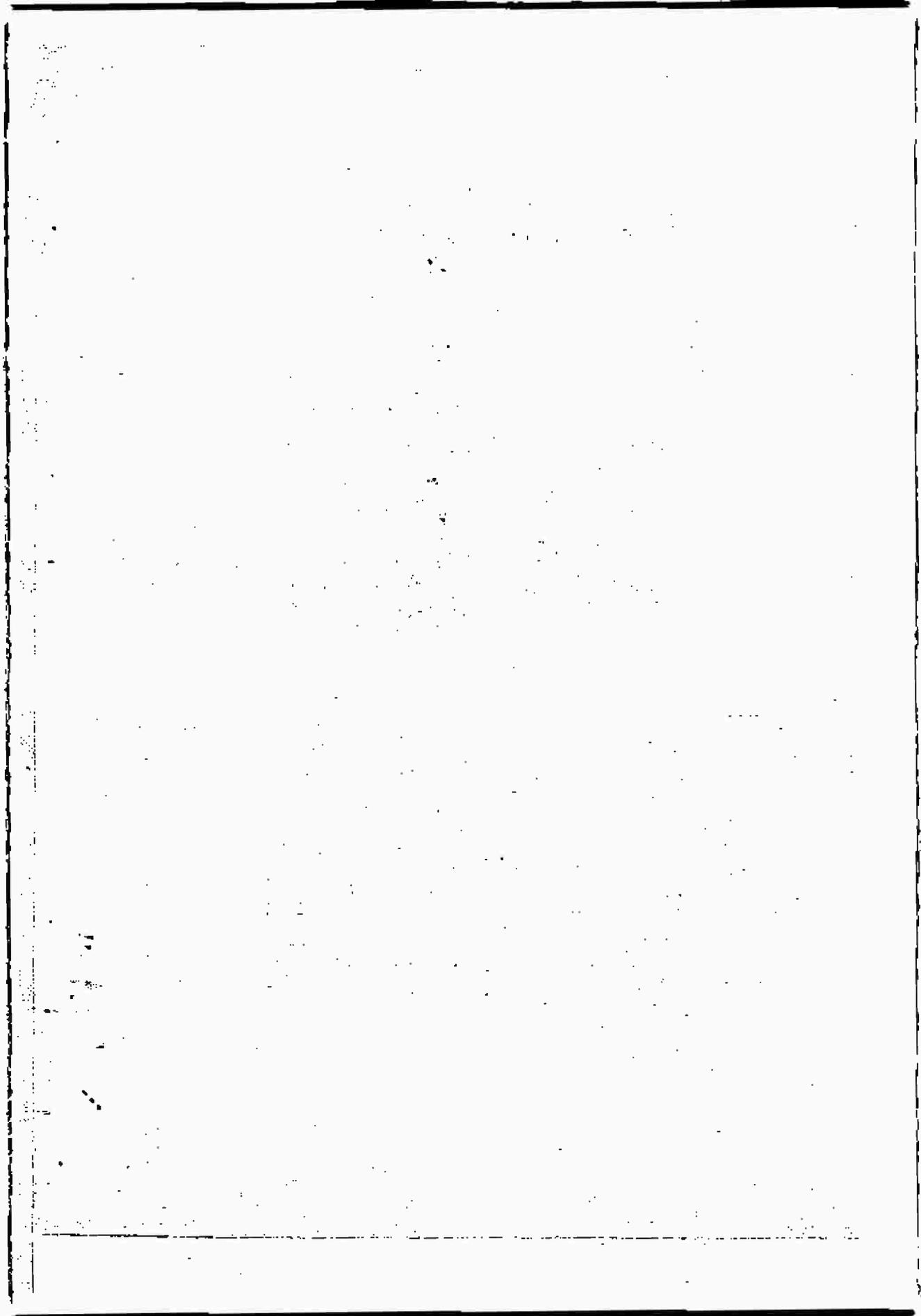
السيفور موسوليني



موسوليني بلاعب شيله

مقتطف نوفمبر ١٩٢٤

امام الصفحة ٣٨٨



فلبست برنيطة سوداء ووضعت على كفتي شالاً اسوداً وذهبت الى وزارة الخارجية ومعى بطاقة من سفيرنا وقد كتب عليها اسم سكرتير موسوليني فأصعدت برافعة وقيل لي ان انتظر قليلاً لاني وصلت قبل الموعد المطلوب بعشر دقائق . والرفة التي جلست فيها عالية السقف جميلة النقش جدرانها من رخام وقد علفت فيها صور من تصوير بعض ارباب الفن المتوسطين . ومن الذين كانوا في الرفة كهل كان يمشي قلقاً ويدها خلف ظهره وقد امسك بهما ظرفاً كبيراً فلما دخلت نظرت اليه شزراً كأنه استاء من دخولي لكنه ظل يمشي ذهاباً واياباً وهو ينظر الى السقف نظراً الامل والى الارض نظراً القنوط . وعند الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين تماماً دخل السكرتير وادخل كرسياً مني وجلس وقال ان رئيسه يمتدح اليك اذا تأخرت قليلاً ولكنه لا يدع احداً يشغله أكثر من عشر دقائق ولذلك لا يطول انتظاري له . وخرج الرجل الكهل حينئذ وحادثني السكرتير في احوال بلادنا السياسية ثم فتح الباب وادخلت الى غرفة السنيور موسوليني فاعتراني شيء من الاضطراب . والرفة كبيرة مظلمة ليس فيها الا مصباحان كهربائيان فوق طاولة كبيرة للكتابة عليها كراديس من الاوراق وكان السنيور موسوليني جالساً الى جانبها ويده جريدة فلما دخلت نهض واتى لاستقبالي وقدم كرسين وضعهما متقابلين واجلسني على احدهما وجلس على الاخر وهو لايس سراويلاً واسعاً وحزمة سوداء عالية . ويظهر عليه انه قوي البنية مجذول العضل عيناها براتقان وصوته اجمل صوت سمعته . وقد استغربت ما رأيته فيهِ من الدعة والظرف والانس فان هذه الصفات قلما تجتمع في الكبار من الرجال واذا لم يكونوا عظاماً بالقمل تخلفوا بالفضافة بدلاً من العظمة لسي يخيفوا الصغار الذين يدنون منهم حاسين ان الغلظة تنفق مع ذكاء العقل وتجعلهم مثل نبوليون . اواه على نبوليون فقد حسب الذين توخوا العظمة في عصرنا فابوا بالفشل انهم به كانوا مقتدين

قال لي الاب مونير Mugnier مرةً الى آسف لان كبيرين في زمن نبوليون وبعده ارادوا ان يقتدوا به ولله هو اعتقد ذلك ايضاً وهذا ما قضى عليه

سأني السنيور موسوليني مسائل كثيرة عن وزارتنا والانتخابات العمومية وقال انه اقام في لندن اربعة ايام فقط وقت المؤتمر التمس فشكره المستر بونارلو حيناً لم يوافق على سياسة فرنسا باحتلالها الرور . وكت مبالاة الى الكلام على سياسة ايطاليا

في الوقت الحاضر لكنني رأيت ان الافضل ان لا ادخل في هذا الموضوع فتكلمنا بحرية وحذر عن اميال الشعوب المختلفة وامانيها وسياساتها بعد عقد الهدنة - وسألني هل نعرف نحن في انكلترا ما هو جارٍ في ايطاليا - فقلت له قد يحتمل اما انا فلمست الآن في دونج ستريت (مسكن رئيس الوزراء وقد كانت فيه في وزارة زوجها) فلا اعلم عن ايطاليا الا ما اقره في الجرائد وهذه قلما تبين جلية الحال - وبعد ان مدحت ما اصلحه في بلادنا وانا مخلصه في مدحي قلت له اني وان كانت معرفتي عن بلادكم قليلة لكنني اخشى ان اكون واياكم على طرفي نقيض اذا قلت اني اكره واحقر استئمان العنف في السلطة قن ارعاب الناس والقائم في السجون ليسا دليلا على القوة بل هما اعتراف بالفضل ما لم تدع الضرورة الشديدة الى استعمالهما بحدوث نورة في البلاد

ولست وانفة انه ادرك مرادي تمام الادراك لاني كتبت اكلة بالفرنسوية لكنني دافع عن نفسه وقال ان ليس له غرض ذاتي. فقلت لهم ولكن لك ذات ولي ذات وافعال كل منا ناتجة من ذاته فلا نستطيع ان نتصل من المسؤولية ظهر لي حينئذ انه لم يكن مصفياً اليتم افاض في الكلام على ما يرقى الامم وكان يتكلم ببلاغة وقوة عارضة كمن يثق بما يقول ثقة لا بخامرها ريب وقال ان ايطاليا كانت في اعظم قوتها لما كانت الحروب الاهلية فاشية فيها اسرة محارب اسرة وولاية محارب ولاية واقطاع محارب اقطاعاً وانه هو غير مفرم باستعمال العنف ولكنه بحسب استعماله مبرراً اديبياً تحت شروط ثلاثة

ولما قال ذلك انتصبت وادنيت كرسي من كرسيه وانا احسب اني ساسم آراء ميكافلية سفسطية لتبرير اعمال العنف التي عملتها الحكومة الايطالية فسالني بطرف مستفهماً استفهاماً انكارياً « ألم تستعمل حكومتكم العنف مطلقاً » فوجدت لاني تذكرت ما فعلته في ايرلندا وطلبت منه ان يخبرني عن الشروط الثلاثة التي يجوز استعمال العنف فيها فكان الشرط الاول ان يستعمل جهاراً وصراحة والثاني ان يكون الفرض منه النفع لا الضرر كما يفعل الجراح الماهر يتر العضو المصاب والثالث ان يستعمل في الوقت المناسب لا قبله ولا بعده

فزال ميكافلي من ذهني ورأيت امامي رجلاً فرداً حبساً هماماً كلة ثقة بنفسه ولكنه لا يصم اذنيه عن سماع آراء الغير

فقلت له ان الشرط الاول لا يبطل حقيقة العنف ولو البتة ثوباً خلتاً من كرم الاخلاق فانك اذا انقرت حرة في الماء فلا فرق عندها سواء كان الماء بارداً او حاراً والشرط الثاني ادبي بلا شك ولكن الشرط الثالث وصية لا تبرر الغاية فاجابني بكلام مختصر كله ظرف وهزل يدل على سرعة خاطر وليس فيه اقل نصيح او نهي بل يدعو الى الملل ثم غيّر الموضوع بنقطة وسألني عما لقيته في اميركا وهل سررت بما شاهدته فيها. فوصفت له حسن ضيافة الاميركيين وما لقيته من الاكرام. وانتقلنا الى الكلام على دستورهم وكيف انه قابل المرونة وكيف انهم يشددون في محاسبة انفسهم ويدققون في نظرم الى امور غيرهم ويترددون في الحكم عليها اولها وياحزني في عادات الامم المختلفة ثم رأيتني ادار رأسه والتفت فقلت له الى اي شيء تلتفت فقال الى حية الباب فقلت له ان ذلك افضل من الالتفات الى الساعة ولكن امل عند الباب ساعة معلقة. لانه كان قد مر علينا نحو ساعة من الزمان ونحن نتكلم. فقال لي ان ليس لديه شغل مستعجل وطلب مني ان لا اتعجل في القيام ولكنني شعرت انني اطلت الزيارة فنهضت ونمض هو ايضاً ومشى معي وهو يتكلم ويضحك ويتمهل الى ان وصلنا الى الباب فاتفقنا على ان نلتقي مرة اخرى قبل مفادوني رومية

اتي لست من الذين يسهل انخداعهم ولقد لقيت كثيرين من المغترين باقسهم الذين يحسب كل منهم انه سائر في خطة نيوليون ولكنني خرجت من قصر شيغي (حيث لقيت موسوليني) وانا شاعرة اني لقيت رجلاً يندر جداً امثاله ولا ريب في ان موسوليني عمل اعمالاً عظيمة لا يظالها وأما اخاف انه ينسى مذهبه القديم مثل كل الذين يتمذهبون بمذهب جديد وفي ذلك خطر شديد فان إخضاع الناس شيء والتسلط عليهم شيء آخر. والحرية من غير نظام لا يمكن ان تكون عشفاً ولكن النظام بغير حرية يزيل ادب النفس. وقد تلاشي القوة ما يراد بها ثم ينتج منها ما قامت الفاشستية لتفضيه